

تفسير أبي السعود

البقرة 44 - 43 .

وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة أي صلاة المسلمين وزكاتهم فإن غيرهما بمعزل من كونه صلاة وزكاة أمرهم ﷻ تعالى بفروع السلام بعد الأمر بأصوله .

واركعوا مع الراكعين أي في جماعتهم فإن صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس في المناجاة وعبر عن الصلاة بالركوع احترازاً عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الضبط بن قريع السعدي ... لا تحقرن الضعيف علك أن ... تركع يوماً والدهر قد رفعه

أتأمرون الناس بالبر تجريد للخطاب وتوجيه له إلى بعضهم بعد توجيهه إلى الكل والهمزة فيها تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر الذي هو الفضاء الواسع يتناول جميع أصناف الخيرات ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة ﷻ تعالى وبر في مراعاة الأقارب وبر في معاملة الأجانب .

وتنسئون أنفسكم أي تتركونها من البر كالمنسيات عن ابن عباس رضي اللع عنهما أنها نزلت في أحبار المدينة كانوا يأمرسون سرا من نصحوه باتباع النبي ولا يتبعونه طمعا في الهدايا والصلوات التي كانت تصل إليهم من أتباعهم وقيل كانوا يأمرسون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدي إنهم كانوا يأمرسون الناس بطاعة ﷻ تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية وقال ابن جريج كانوا يأمرسون الناس بالصلاة والزكاة وهم يتركونهما ومدار الإنكار والتوبيخ هي الجملة المعطوفة دون ما عطفت هي عليه .

وأنتم تتلون الكتاب تبيكت لهم وتقريح كقوله تعالى وأنتم تعلمون أي والحال أنكم تتلون التوراة الناطقة بنعوته الآمرة بالإيمان به أو بالوعد بفعل الخير والوعيد على الفساد والعناد وترك البر ومخالفة القول العمل .

أفلا تعقلون أي أتلونه فلا تعقلون ما فيه أو قبح ما تصنعون حتى ترتدعوا عنه فالإنكار متوجه إلى عدم العقل بعد تحقق ما يوجبه فالمبالغة من حيث الكيف أو ألا تتأملون فلا تعقلون فالإنكار متوجه إلى كلا الأمرين والمبالغة حينئذ من حيث الكم والعقل في الأصل المنع والإمساك ومنه العقل الذي يشد به وظيف البعير إلى ذراعه لحبسه عن الحراك سمى به النور الروحاني الذي به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية لأنه يحسبه عن تعاطى ما يقبح ويعقله على ما يحسن والاية كما ترى ناعية على كل من يعط غيره ولا يتعظ بسوء صنيعه وعدم تأثره وإن فعله الجاهل بالشرع أو الأحق الخالي عن العقل والمراد بها كما أشير إليه حثه

على تزكية النفس والإقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق فتقيم غيرها لا منع الفاسق عن الوعظ يروى أنه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوى التصرف في القلوب وكان كثيرا ما يموت من أهل مجلسه واحدا أو أثنان من شدة تأثير وعظه وكان في بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحتري عليه وتمنعه من حضور مجلس الواعظ فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع من أمر الله تعالى ما وقع ثم أن العجوز لقيت الواعظ يوما في الطريق فقالت ... لتهتدى الأنعام